-١-

سَلمَى

هذا هو اسمك/
قالت امرأة ،
وغابتْ في الممرِ اللولبيّ»"

***

أنا متفائل بطبعي، مجتهد ، لا أعطي للحظ مساحة في حياتي، وإن كنت لا أعترف بوجوده،فالحظ الحقيقي هو نتاج إجتهادنا فقط،ذقت الفقر ولم ألعنه،تبدلت أحوالي كالطقس المتغير من السيئ إلي الأفضل ولم أشكره،تذوقت رغد العيش،سكنت شقة فاخرة،كل ذلك نتاج تعبي وليس طفرة عطف من حظِ.
_ ليت قومي يعلمون

مرت الكثير من الليالي وأنا توأمُ للجليد المستوطن القطب الشمالي..لا أحرك ساكناً لرؤية أية فتاة..وذلك ماكان يثير غضب أصدقائي، حتى انصرفوا عن دعوتي لليالي السمر والسهرات الملونة،ولم يعترفوا قط بأن كل النساء عندي متشابهات، الملامح،قصات الشعر، ألوان الزينة، حتي الضحكات كانت كلها متشابهة، تلك تشبه ضحكة هيفاء وهبي عندما تظهر مالديها من فنون الغنج والدلال، وآخرى تشبه ضحكة بوسي عندما تتمايع في أحد مسلسلاتها، لاأجد لهن طعماً..ولكن أصدقائي لم يفطنوا لوجهة نظري أبداً
عشت بذلك البرود زمنًا..لا أمتثل لكلمات نزار عندما أسمعه يتعبد في

obeikan.com

محاريب الأنثى،ويتفنن في وصف مفاتنها..بل أشعر أنه عبدٌ من عبيد الملكة.
_الآنثى ؟!
ما الأنثى إلا حواء ..ومن أخرجنا من الجنة سواها؟.
تلك مبادئي التي لن أغيرها أبدآ فأنا لا أتغير بتغير الظروف المحيطة بي..بل إنني لا أهتم كثيراً بالمتغيرات!

***

يوم الأجازة..(كم أحبه)،أظل ملازمًا فيه سريري ، محتضنآ لوسادتي الحنونة..إلا أن شدة الضجيج بالخارج يسلبني أحياناً ذلك النعيم الذي أشعر به
_ أووووف.صدق عدوية (زحمة يادنيا زحمة)
ذلك الصباح على غير العادة لم أجد ضيقاً في أن أستمع لأبواق السيارات..بل رحت ألحنها وكأنني تشايكوفسكي
_ بيب بيبيب بيبب

ظلت تلك المقطوعة (البوقية) كما اسميتها تتردد على لساني طوال الصباح.
_ هيا ياكيس القمامة .. بيب .. سأخذك للخارج بيب
بخطوات راقصة وصلت لمقبض الباب،ياللروعة..من ذلك الدافينشي الذي تفنن في رسم مثل تلك المقابض..!

لم أنه التجول في مساحات خيالي الخصبة حتى سمعت صوت نقرات ذلك الذي تترنح له الرؤوس..إنه الكعب العالي أحفظ صوته الشرير..عاجلت المقبض بلفة دائرية سريعة انزلق على إثرها اللسان فانفتح الباب...لأراها أمامي تتعارك مع مفتاح شقتها المقابله لي بعد أن رفض أن يطيعها في ذلك الجو البارد، وكأنني أرى أمامي (كامليا) فاتنة السينما،بل وإنها تفوقها جمالاً، نظرت إلي وما أسرع علامات التعجب التي وقعت فوق ملامحها

- من أنت؟
- أنا هانئ الساكن الجديد.
ارتسمت على شفتيها ابتسامة جميلة.
- وأخيرًا. سأجد لي جارًا ! لقد ظننت أن الشقة شاغرة.
- أنا أيضآ ظننتها كذلك إلى أن وجدتني بها.
- أنا سَلمَى
نظرت قليلًا.هههه لم أفهمها في البداية.
- مرحبًا هل تواجهين صعوبة في فتح الباب؟
- أكره تلك الأبواب في الشتاء لا أجني من ورائها إلا صعوبة التعامل والصرير الذي يصم الآذان.
رأيت أنه من الواجب أن أظهر شهامتي (تلك أيضآ إحدى حسناتي)
- أتريدين المساعدة؟
- ستصنع لي معروفًا

_ لم أتحدث إلي الجيران أبداً منذ سكنت هنا لعلمي أن الإختلاط بالأخرين يجلب المشاكل، لكنني أظن أن تلك المرة شعرت براحة للتحدث مع أحدهم ..بل ولمساعدته أيضآ، ظننت أن الباب سيفتح عن مخزن سنجاب مليء بقشور الجوز بل وأنه يظل كل الوقت يقنعك بأن تلك حبات كامله يخزنها للشتاء.

لكن الباب انفتح على جنة غنّاء سحرتني حتى أنني ولجت داخلها بدون استئذان لأقف أمام مكتبة كبيرة منمقة بعناية شديدة صَفَت كتبها الأكبر فالأصغر،ألوان الجدران جميلة هادئة ،الأثاث يكاد ينطق ليقول لك (إن الله جميل يحب الجمال)تغرد من وراء قضبان قفص صغير عصفورة كناري صفراء ماأبدع ذلك الصوت إنني حقا أشعر بأن...
هل أعجبك ذوقي؟_

سحبتني من براثن ذلك السحر المتجول في شقتها لأجدها وقد أعدت فنجانين من القهوة.

-أعتذر ولكنني لم أتمالك نفسي أمام ذلك الجمال فأنا أعشقه بالإضافه لعشقي للقراءة

- أصبحنا اثنين، مَنْ كاتبك المفضَل؟

تبارينا في مستوي الثقافة حتى استسلمت آخيراً أمامها،فاجأتني ثقافتها الغزيرة وعِلمها الوفير (إنها مكتبة ثقافة متحركة)

- لَم تخبرني عن طبيعة عملِك .

- لدي شركة للدعاية والإعلان خاصة بي..عملت بجهد مع بعض أصدقائي حتي أصبحت تقريباً الوحيدة التي تذكر الآن في الأسواق..وأنتِ ؟

تلعثمت قليلاً وكأنها تفاجأت بالسؤال،لكنها سرعان ماتلمست خصلات شعرها بدلال لتجيب بإبتسامةٍ

- أنا أعمل مضيفة جوية.

- يا لشجاعتكِ !

- قالت بتعجب وقد قطبت حاجباها (لماذا؟)

_لأنني أعاني من فوبيا المرتفعات..تحديت نفسي ذات مرة أن أستمر في رحلة جوية من القاهرة إلى الغردقة..لم أنتظر أن تقلع الطائرة حتى هربت من المطار.

- هههههههههههه

- أنا حقاً سعيد بتلك المصادفة، إن إحتجتِ لأي شئ فأنا في خدمتك

تركت تلك الجنة وعدت أدراجي إلي منزلي لأعيش مع كل همسة وكل تعبير وكل..وكل...

لم يمر شهران حتى كنا صديقين فعلًا ،لا أذكر أن لحظة ما بعثرت هذا التوافق الذي أستشعره بيننا

ولكن ، بعد عام واحد قررت أن أعتزل دور الراهب الذي يعيش بخلوة الطهارة

لأدفن رأسي في صحراء الحب العطشى.
- هانئ لا تنس عيد ميلادي يوم الثلاثاء
_ كل عام وأنتِ أرق وأجمل
قررت أن أكسّر حواجز الكذب التي ظللت أقنع نفسي بها سنين طويلة، وإن كانت سلمي قد شجعتني على فعل ذلك،فقررت أن تكون هديتي غير متوقعة.
- (لاأصدق أنك ستفعلها أخيراً(قال حسن وأيده أصدقاؤنا
-لقد راهنت كثيراً أنه لم تُخلق بعد تلك الأنثى التي تحطم لي مبادئي ومعلوماتي العتيقة التي اختزلتها في بضع صور مشهوهة عن النساء..إنها سَلمَى))

نطقتها كأنما أتذوق روعة الاسم لأول مرة
ركعت علي ركبتي أمام صديقاتها وبعض المدعوين،وكشفت عن علبة صغيرة يرقد بقاعها خاتم ماسيٌّ،يكشف بريقه عن مدى الحب المكنون بقلبي

أنتِ حقيقتي ، وأنا سؤالكِ
لم نرِثْ شيئا سوي اسْميْنا
وأنتِ حديقتي ، وأنا ظلالُكِ
عند مفترق النشيد الملحميِّ

_تتزوجيني؟
كانت صديقاتها أشد منّيٍّ فرحة بينما صفق الرجال لبساطتي،لكنها كانت عكسهم بدت كحجر صلد يرقد بركن الهرم الأكبر
- لماذا؟
- لأني أحبك..!
- لم أكن أتمنى أن تقع بتلك الحفرة أبدآ.
تركتني لأجد نفسي محل شفقة المحيطين بي لصعوبة الطعنه التي تلقيتها

بقلبي.
عشت أياماً وأنا كسير متهدم الطموح،أشفق على حالي، هاتفها مغلق طوال الوقت.
- كلنا مررنا بنفس الموقف مرة وأكثر ، سيأتي اليوم الذي تنسى فيه ماقد صار
- (قال نضال): سأخرجك أنا من تلك الحالة
لم تكن تلك السهرة ولا غيرها لتنسيني ماقد صار، كنا نتأمل تلك العاهرة التي ترقص على العامود، تترك المسرح لأخرى تفعل مثل سابقتها،لكن صدمتي كانت عندما رأيت وجه الملاك الذي يرقص
_ سَلمَي !
كانت تتلوى كالأفاعي، صالت وجالت الذكريات برأسي من صدمتي..بينما أطبق الصمت على كل حواسي إلا عيني،رأيتها تدخل شقتها على أطراف أصابعها،سرعان مالحقتها لأهزم قوتها وأرميها بالداخل وبعيني ملايين الأسئلة التي تركض خلف بعضها،لم يكن السُكْر الذي بعقلي نتاج خمور معتقة، بل تأثير صدمة حب .
- كنت أُحب عاهرة؟ كيف أستطعتِ خداعي؟
حاوَلَت التنصل من أسئلتي، حاوَلَت طردي لكن كبريائي رفض إلا أن ينتقم،آخر مشهد أتذكره من تلك الليلة، هي نقاط الدم المتناثرة فوق صفحة السرير الأبيض، وكلمات الرسالة التي تركتها.
_ سأسامحك على فعلتك ولكن..سيأتي اليوم الذي تتمنى لو أنك شكرتني على رفضي لك .
لقد رجوت الشيطان كثيراً ألا يضعني في إمتحان وليتركني أعيش كما أنا بسلام،أفقت من نومي علي أصوات الأبواق مرة أخري،وصوت هاتفي يعلو
_ ألو
_ مرحباً هانئ..أنا دكتور فكري
_ هل ظهرت النتيجة؟

_جاءت النتيجة بما كنت أخشاه..

يا موت !
يا ظلّي الذي سيقودني
يا ثالث الإثنين
يالوْن التردُّد في الزمرُّد والزُّبرْجِدِ
يا دم الطاووس ، يا قنّاص قلب الذئب
يا مرض الخيال !
اجلسْ على الكرسي !
ضعْ أدواتِ صيدك تحت نافذتي
وعلِقْ فوق باب البيت
سلسلة المفاتيح الثقيلة

_سأعيش الآن وقلبي مشطور إلى نصفين، تسكن سَلمَى نصفه..بينما يأكل الإيدز نصفه الآخر.

ليلى الشعيني
مقاطع الشعر مأخوذه من
جدارية الشاعر محمود درويش

obeikan.com